أسلوب التمني

في المعلقات العشر

اعداد

الباحث/ خـــالد أحمـد شلـبي الخيــاط

أسلوب التمني في المعلقات العشر

التمني:

هو طلب شيء محبوب لا يرجى حصوله، إما لأنه مستحيل أو لأنه بعيد الحصول لتعذره أو امتناع مكروه كذلك[1].

وقيل: هو طلب [2] أمر موهوم الحصول وربما كان مستحيل الحصول[3].

أدواته :

الأصل فيها " ليت " وقد تستعمل أدوات أخرى مثل: لو ، هل ، لعل ، وهلا ، ألا ، لوما ، لولا.

مثل:

×× (يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) .

×× (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا).

×× (ودوا لو تدهن فيدهنون) .

×× (لعلى أبلغ الأسباب .أسباب السموات).

* وقد يخرج أسلوب التمني عن مراده الحقيقي– طلب أمر موهوم– إلى معان متولدة[4] مثل: التنديم، السؤال.... إلى غير ذلك من معان.

* ومن أمثلة المعاني المجازية لأسلوب التمني في المعلقات:

الحزن , الرجاء

ورد أسلوب التمني في ثمانية مواضع من شعر المعلقات , وهي :

اســم المعلقة	مطلعـــــها	صيغ التمني الواردة فيها	عدد صيغ التمني الواردة فيها
امرؤ القيــس	(قفا نبكِ من ذكري حبيب ومنزل * بسقط اللوي بين الدخول فحومل)		--
طرفة بن العبد	(لخولة أطلال ببرقة ثهمد *** تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد).		5
زهير بن أبي سُلمي	(أمن أم أوفي دمنة لم تكلم *** بحومانة الدراج فالمتثلم ؟) .		--
لبيد بن ربيعة	(عفت الديارمحلها فمقامها ***بمني تأبد غولها فرجامها).		--
عنترة بن شداد	(هل غادر الشعراء من متردم *** أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟).	ليــت لـــو	1
عمرو بن كلثوم	(ألا هي بصحنك فاصحبينا *** ولا تبقي خمور الأندرينا)		--
الحارث بن حلزة	(آذنتنا ببينها أسماء *** رب ثاوٍ يمل منه الثواء).		1
الأعشي ميمون	(ودع هريرة إن الركب مرتحل*وهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟).		--
النابغة الذبياني	(يادار ميةبالعلياء فالسند ***أقوت و طال عليها سالف الأبد)		1
عبيد بن الأبرص	(أقفر من أهله ملحوب *** فالقطبيات فالذنوب)		--
			8

* يكاد أسلوب التمني أن يختفي من المعلقات فلا يظهر فيها إلا على استحياء، فأعلى تواجد له في معلقة طرفة بن العبد , ثم يقل تواجده كثيراً حيث تتساوي نسب مجئيه في معلقة عنترة بن شداد ومعلقة الحارث بن حلزة ومعلقة النابغة الذبياني ، وفيما عداها من المعلقات فينعدم فيها تواجد أسلوب التمني.

* أسلوب التمني ورد في ثمانية مواضع في شعر المعلقات ,ولقد جاء أسلوب التمني في المعلقات بأداتين – "ليت ", " لو" – دون باقي أدوات التمني .

أولاً–التمني ب(ليت):

ورد أسلوب التمني ب(ليت) في أربعة مواضع من شعر المعلقات :

اســم المعلقة	مطلعـــــــــها	صيغة الأمرالصريحة الواردة فيها	عدد صيغة الأمر الصريحة الواردة فيها
امرؤ القيـس	(قفا نبكِ من ذكري حبيب ومنزل * بسقط اللوي بين الدخول فحومل)	* ليت	--
طرفة بن العبد	(لخولة أطلال ببرقة ثهمد *** تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد).		1
زهير بن أبي سُلمي	(أمن أم أوفي دمنة لم تكلم *** بحومانة الدراج فالمتثلم؟) .		--
لبيد بن ربيعة	(عفت الديارمحلها فمقامها ***بمني تأبد غولها فرجامها).		--
عنترة بن شداد	(هل غادر الشعراء من متردم *** أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟).		1
عمرو بن كلثوم	(ألا هي بصحنك فاصحبينا *** ولا تبقي خمور الأندرينا) .		--
الحارث بن حلزة	(آذنتنا ببينها أسماء *** رب ثاوٍ يمل منه الثواء).		1
الأعشي ميمون	(ودع هريرة إن الركب مرتحل*وهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟).		--

النابغة الذبياني	(يادار ميةبالعلياء فالسند ***أقوت و طال عليها سالف الأبد)		1
عبيد بن الأبرص	(أقفر من أهله ملحوب *** فالقطبيات فالذنوب)		--
			4

أمثلةالتمني ب(ليت):

1) ومن أمثلة ذلك أيضاً , قول عنترة بن شداد في معلقته:-

(يا شاة ما قنص لمن حلت له * حرمت عليَّ و ليتها لم تحرم).**

ورد هذا البيت في غرض الفخر , والشاة كناية [9] عن المرأة -الرمز -الذي يهفو إليها الرجل، أو المهاة التي يسعى إلي اقتناصها الصائد.

وفي وسط فخر الشاعر بنفسه، واعتداده بذاته، يتكلم عن محبوبته، ويحزن على تحريمها عليه وحللها لغيره، مع تنكير حلت له، أي أن من حلت له، هو دون الشاعر شجاعة واقداماً، وبلاءاً في الحروب، فكم من بطل صرعه بطعنة نافذة، وما أكثر الدروع المحكمة التي مزقها بسيفه عن شجعان مشهورين.

فأين هذا الذي حلت له من الشاعر ومن قوته، وعدم تعريفه -الذي حلت له الشاة -دلالة على أنه ليس أهلاً لهذه الشاة، فهو نكرة في ذاته فلم يقدمه إلا نسبه، ولم يرفعه إلا عصبته، ولهذا حرمت على الشاعر - لأن ظل العبودية، يطارده، حتى بعد تحرره، وسواده يذكر الكل بهذه العبودية -وقصته مع عبلة -ابنة عمه -معروفة معلومة، وكيف أن عنترة، كان فارس عبس الأول، وكم دافع عنها غير مرة، وبرغم شهادة الجميع له بالشجاعة والإقدام، إلا أنهم، اجتماعياً ، كانوا يحجمون عنه، وكان هذا أحد ألوان هضم القبيلة لحقوقه .

ومن ثم فتمنى عدم وقوع ذلك الحرمان، يساعدنا على فهم الحصر على وضع الذات الشاعرة موضعها اللائق من الذات الجماعية عبر ائتلاف سوي بين الذوات الفردية المكونة للنسق الكلي للجماعية, وهذه هي الغاية المنشودة التي ينبغي أن تقتنص بمهارات وقدرات خاصة، وتصان اعتماداً على أدوات متميزة وخبرات متفردة، وأن ذاك يحل لكل من توفرت فيه هذه المقومات، ولكن إذا حرم صاحبها، الحياة الحقة السوية فلابد أن ذلك وقع من خلل ما، لا يمكن السكوت عنه .

لهذا نجد أن أسلوب التمني قد خرج عن مراده الحقيقي –طلب أمر موهوم أو مستحيل –إلى مراد مجازي هو الحزن الممزوج بالرفض للنظرة الاجتماعية له، وهو من هو، في عبس، فهو فتاها الأول وفارسها المقدم .

2) ومن أمثلة ذلك أيضاً , قول الحارث بن حلزة في معلقته:-

(آذنتنا ببينها ثم ولت * ليت شعري ,متي يكون اللقاء)**

جاء هذا البيت في عرض النسيب , حيث بدأ الحارث معلقته علي عادة الجاهليين بذكر المرأة. فتشبب بأسماء التي آذنته بفراقها حيث رحلت مسرعة مع شدة شغفه بها ,و حرصه علي الدنو منها , مع أن في المقيمين من يكره مقامه , وأخذ يعدد ديارها و منازلها التي كان يلقاها بها و يبكي فقدها ولكنها ولت وتركته للبين والألم .

فأخذ يسرد سلسلة طويلة من أحد عشر موضعاً من منازلها الخاوية التي لا يُري فيها أثراً لأحد حتى المحبوبة المعهودة الرؤية في تلك الديار ولم يبق منها إلا آثارها فأهاج ذلك البكاء ولكن ماذا يغني البكاء ؟ وبعد أن مضي في هذا التشبب قليلاً أخذ في وصف ناقته التي يستعين بها علي الهم .

ويظهر احساس الشاعر بمرارة الفقد في تتابع الجملة الفعلية– آذنتنا ببينها– وفي تصدرهذا الجملة في البيت محل الدراسة ,والذي قبله–والذينِ يمثلان مطلع المعلقة – , ثم التضافر بين الجملة الفعلية والتمني والاستفهام,لأنها لما رحلت, كأن الشاعر ظن أنها رحلت مدبرة ولن تعقب , لهذا قدم التمني – طلب الأمر الموهوم– ليتناسب معظنه بالفراق الأبدي, وأخر الاستفهام .

ولهذا نجد أسلوب التمني خرج عن مراده الحقيقي – وهو طلب أمر موهوم وربما مستحيل – إلي المراد المجازي وهو الحزن علي رحيل المحبوبة بل تمني بقائها واستقرارها, وعلي ما فات من أيام المحبوبة وعلي ما سلف من أيام القرب منه.

3) ومن أمثلة ذلك ,قول النابغة في معلقته:–

(قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا * إلى حمامتنا ونصفه فقد).**

ورد هذا البيت في غرض المدح ,حيث أخذ الشاعر يمدح النعمان ملك الحيرة بالفطنة وسرعة الفهم ودقة النظر.

ثم يطلب منه أن يصنع مثلما صنعت الفتاة الحصيفة، التي دققت ثاقب بصرها على سرب حمام منطلق نحو ورد مائه، وقد انضام بعضه إلى بعض – دلالة على التداخل والتشابك، وصعوبة رؤية الأمور بوضوح – مخترقاً حافتي جبل شامخ.

فيُشوق السامع ليسأل قائلاً، وما شأن هذه الفتاة وحمامها؛ فيتخذ الشاعر من ذلك سبيل الحكي الشائق ...فإذا الفتاة لا تملك إلا حمامة، ولكنها استطاعت بدقة

بصرها وحصافتها أن تحصى الحمام المحلق عدداً، فتمنت لو كان عدد هذا الحمام ونصفه يضاف إلى حمامتها، عندئذ يصبح مجموع ما عندها مائة كاملة .

فلا يكاد الراوي يفرغ من هذه الأحجية حتى يدور في ذهن كل مستمع تحديد العدد، ليعرف في النهاية أنه ستة وستون، فيتعجب من دقة نظرها وسرعة إحصاءها ..رغم سرعة الطيران وانضمام بعضهم إلى بعض .

وهنا نجد أسلوب التمني –برغم أن الشاعر مجرد ناقل له، وأن قائله هو الفتاة صاحبة الحمام –فخرج عن مراده الحقيقي –طلب أمر موهوم وربما مستحيل – إلى مراد مجازي، هو رجاء الشاعر من الملك أن ينظر ، ويدقق النظر في قضية الوشاية المقدمة ضد الشاعر، حتى يعلم الملك حقيقة الوشاية وأنها ظلم صراح.

ثانياً–التمني ب(لو):

ورد أسلوب التمني ب(لو) في أربعة مواضع من شعر المعلقات :

اســم المعلقة	مطلعـــــــــها	صيغالتمني الواردة فيها	عدد صيغ التمنيالواردة فيها
امرؤ القيـس	(قفا نبكِ من ذكري حبيب ومنزل * بسقط اللوي بين الدخول فحومل)	* لو	--
طرفة بن العبد	لخولة أطلال ببرقة ثهمد *** تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد.		4
زهير بن أبي سُلمي	أمن أم أوفي دمنة لم تكلم *** بحومانة الدراج فالمتثلم		--
لبيد بن ربيعة	عفت الديارمحلها فمقامها ***بمني تأبد غولها فرجامها		--

عنترة بن شداد	هل غادر الشعراء من متردم *** أم هل عرفت الدار بعد توهم		--
عمرو بن كلثوم	(ألا هي بصحنك فاصحبينا *** ولا تبقي خمور الأندرينا).		--
الحارث بن حلزة	(آذنتنا ببينها أسماء *** رب ثاوٍ يمل منه الثواء).		--
الأعشي ميمون	ودع هريرة إن الركب مرتحل*وهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟		--
النابغة الذبياني	(يادار ميةبالعلياء فالسند ***أقوت و طال عليها سالف الأبد)		--
عبيد بن الأبرص	(أقفر من أهله ملحوب *** فالقطبيات فالذنوب)		--
4			

*<u>أمثلةالتمني ب(لو):</u>

*** ومن أمثلة ذلك، قول طرفة بن العبد في معلقته[10]:**

(فذرني وخلقي إنني لك شاكراً * ولو حل بيتي نائياً عند ضرغد).**

ورد هذا البيت في غرض العتاب , حيث يذكر فيه الشاعر أمانيه في الحياة وكذلك صفاته التي يخلعها على نفسه، أنه شخص كريم سمح الاخلاق , يريد أن يعيش أيامه في سلام وأمن , ولكن يتعجب من سلوك الظالمين والمعتدين وبخاصة إذا كانوا من الأقارب , الذين يجب أن يكونوا عوناً وسنداً , وهذا السلوك المعيب منهم كان أشد إيلاما , وأكثر مرارة , وأنكى من ضرب السيوف , ولهذا يحز في نفسه أن يكون له ابن عم يسئ إليه , ويعتدى عليه مع أنه لا يستحق ذلك.

لهذا يتوجه في هذا البيت بالحديث إلى ابن عمه , اللائم للشاعر على تصرفاته و سلوكياته التي لا تقبلها القبيلة عموماً , وابن عمه خصوصاً فقد كان طرفة معتزاً بنفسه[11] فخوراً .

مما جعله يتجرأ على أهله وذويه، بعد أن حاولوا منعه من إسرافه في الشهوات وتبديده ما كان قد ورثه , فلم تجد قبيلته وأهله معه سبيلاً , سوى أن تفرده وتبتعد عنه فاستشعر بالانعزال.

وتكون الطآمة أن تضيق دائرة اللوم , لتصرفات طرفة فينتقل اللوم من أبناء القبيلة عموماً مثل قرط بن عبد , أحد أبناء القبيلة الكثيرين اللائمين للشاعر , إلى الدائرة الضيقة المحيطة بالشاعر مثل ابن عمه مالك مما زاد من ضيق الشاعر وضجره بكل من حوله .

مما جعل الشاعر يقول للائمين عموماً وللأقربين خصوصاً ممثلاً عنهم ابن عمه مالك , خلى بيني وبين خلقي ودعني الى سجيتي , ورغم كل ما فعلت معي فإني لك شاكر , لا تهتم بي .

وأتمني لو نزل بيتي بعيد غاية البعد , عند هذا الجبل البعيد الذى سمى ضرغد , الذى يحتاج للوصول اليه مشقة مسافة بعيدة.

وكأن الشاعر مقيد بقيود اللوم , يتلوى فيها راغباً في الفكاك , فيقول مبتدءاً بفاء التعقيب , أي بناء على ما سبق ذكره من ظلمك لي , وغبنك حقي , فذرني وخلقي , فذرني ولو حل بيتي نائياً عند ضرغد ' فإن كان من المعلوم أن مدى جبل ضرغد , بعيد جداً عن أرض قبيلة الشاعر , فلما تعمد الشاعر قوله "نائياً "؟

لعل الشاعر أراد أن يوضح مدى العزلة التي يعيشها، ومقدار البعد المعنوي عن القبيلة، فكأنه وهو يعيش بينهم إلا أنه مبتعداً منعزلاً عنهم كأنه يعيش في جبل ضرغد الواقع في أرض غطفان [12].

وأيضاً لما تعمد أن يقول لابن عمه" إنني لك شاكر" ألم يكن يكفي قوله" فذرني وخلقي"؟ لقد قدم الشاعر الكثير لابن عمه، فالشاعر دائماً كان على استعداد للدفاع عن حرمات ابن عمه , وإن يأتي الأعداء لقتال ابن عمه[13]، سوف يجتهد الشاعر لقتالهم دفعاً عن ابن عمه غاية الجهد بل سوف يبيدهم إبادة لمجرد أنهم أفحشوا القول في ابن عمه.

ثم بعد كل هذا لا يجد الشاعر من ابن عمه إلا كل استهانة وعدم تقدير أو إعانة، لهذا يقول له الشاعر" إنني لك شاكر" , شكر– توبيخي– يراد به الذم على سييء الفعل وعدم القيام بالواجب عند حلول أوانه.

لهذا نجد أسلوب التمني خرج عن مراده الحقيقي– طلب أمر موهوم و ربما مستحيل – إلى مراد مجازي هو التوبيخ لابن عمه على أفعاله تجاه الشاعر، وعدم قيام ابن العم بواجبات القرابة والدم.

الهوامش

1- الأساليب الإنشائية في النحو العربي ا. عبد السلام هارون ص117 , مكتبة الخانجى القاهرة 2001 .

2- بأداة التمني الأصلية ليت أو بما يفيد التمني مثل :هل,لو, لعل,ألا,....

3- شرح المفصل , لابن يعيش ج8ص86 عالم الكتب بيروت مكتبة المتنبي بالقاهرة .

4- مفتاح العلوم للسكاكى ص 172, مصطفى البابى الحلبى القاهرة ط2 1990.

5- وهذا راجع إلى " نزعة طرفة التصويرية " و التي أوضحها نورى حمودى في كتابه "الطبيعة في الشعر الجاهلي " -عالم الكتب- مكتبة النهضة المصرية بيروت ط2 1984 ص289 .

6- ديوان طرفة بن العبد , تحقيق عبد الرحمن المصطاوى ط6 دار المعرفة بيروت لبنان ط1 2003 .

7- ديوان طرفة بن العبد ,شرح الأعلم الشنتميرى , المقدمة, المحقق : درية الخطيب ,لطفي السقال المؤسسة العربية للدراسات والنشر دار الثقافة والفنون ط2 2000

8- ديوان طرفة بن العبد, تحقيق حمدو طماس ط6 دار المعرفة بيروت لبنان ط1 2003م .

9- شرح القصائد العشر , للإمام الخطيب أبى زكريا يحيى بن على التبريزي ص 200, المكتبة الأزهرية للتراث 1992 .

10-للمزيد من النماذج ينظر معلقة طرفة بن العبد الأبيات رقم (80,79,76) , شرح القصائد العشر, التبريزي .

11-ديوان طرفة بن العبد , تحقيق المصطاوى ص2.

12-شرح القصائد السبع الطوال لأبى بكر محمد القاسم الانبارى ص209 , تحقيق وتعليق ا.عبد السلام محمد هارون ط6 دار المعارف القاهرة .

13- وذلك في قول طرفة بن العبد :

14- *(وإن أُدعَ في الجُلَّي أَكن من حماتها ** وان يأتيك الأعداء بالجهد أجهد) .

* (وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم** بكأس حياض الموت قبل التهدد) .

المصادر و المراجع

1. الأساليب الإنشائية في النحو العربي ا. عبد السلام هارون ص117 , مكتبة الخانجى القاهرة 2001 .

2. شرح المفصل , لابن يعيش ج8عالم الكتب بيروت مكتبة المتنبي بالقاهرة .

3. مفتاح العلوم للسكاكى, مصطفى البابى الحلبى القاهرة ط2 1990.

4. "الطبيعة في الشعر الجاهلي " نورى حمودى –عالم الكتب– مكتبة النهضة المصرية بيروت ط2 1984 .

5. ديوان طرفة بن العبد , تحقيق عبد الرحمن المصطاوى دار المعرفة بيروت لبنان ط1 2003 .

6. ديوان طرفة بن العبد ,شرح الأعلم الشنتميرى , تحقيق : درية الخطيب ,لطفي السقال المؤسسة العربية للدراسات والنشر دار الثقافة والفنون ط2 2000 .

7. ديوان طرفة بن العبد, تحقيق حمدو طماس دار المعرفة بيروت لبنان ط1 2003م .

8. شرح القصائد العشر , للإمام الخطيب أبى زكريا يحيى بن على التبريزي ص 200, المكتبة الأزهرية للتراث 1992 .

9. شرح القصائد السبع الطوال لأبى بكر محمد القاسم الانبارى , تحقيق وتعليق ا.عبد السلام محمد هارون ط6 دار المعارف القاهرة .